فلسطينيون على ارض فلسطين؟ بلى، هناك الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطينيو المناطق المحتلة منذ ١٩٤٨. ويبدو ان هناك نمطين من الشخصية الفلسطينية: شخصية انسان المنفى والمخيم، وشخصية الانسان الفلسطيني الذي مازال مقيما على ارضه. والملاحظ، ان الفعل السياسي الفلسطيني بدأ بالمخيم ومازال في اطاره، بل انه يخشى ان ينتقل هذا الفعل السياسي الى المقيمين على الارض الفلسطينية. وقد يكون لهذه الخشية مبرراتها. فالمجتمع الفلسطيني لم يتشكل كوحدة اجتماعية ـ سياسية. ومن هنا يمكن لمثل هذا المجتمع ـ المشروع ان ينشطر، فيتخلى المقيمون على الارض الفلسطينية عن اشقائهم ابناء الشتات. هذا الخوف ينعكس، اولا، في اصرار منظمة التحرير الفلسطينية (وهي اطار المنفى) على ان تكون الممثل الشرعي والوحيد للفلسطينيين، كما ينعكس، ثانيا، في اصرارها على كسب تأييد الشعب الفلسطيني في الداخل لهذا التمثيل والوحدانية، وقد ساعدها على ذلك ان الاطر السياسية في الداخل هي امتداد مثيلاتها في الشتات، وان الداخل الفلسطيني مازال، حتى الآن، مستجيبا ومتلقيا لنضال الخارج الفلسطيني.

ماذا لو تمكن الداخل الفلسطيني عبر نضاله من ان يشكل اداته السياسية المرتبطة بالجغرافيا؟ هل ستبقى منظمة التحرير الفلسطينية ان تكون رديفا له واداته الاعلامية في الخارج؟

ان كسر الحصار، العربي والاسرائيلي والعالمي، الذي مازال يطوق العمل السياسي الفلسطيني، يقتضي نقل هذا العمل السياسي لوضعه في اطاره الجغرافي الصحيح بما هو قضية وطنية فلسطينية، ومشروع سياسي لشعب في مواجهة مشروع سياسي لشعب آخر غازٍ ينافسه على ارضه ويزاحمه عليها. فكما يقول الاسرائيليون المتطرفون (وهم لسان حال المجتمع الاسرائيلي): ان المسألة مسألة وجود احد الشعبين على «ارض ـ اسرائيل».

فمن فلسطين يبدأ النضال، وعلى الفلسطينيين ان يقبلوا قدرهم كرافعة لمشروع حضاري في المنطقة العربية، كي تكون قضية عربية اولى.